بسم الله الرحمن الرحيم

الرئيس ، والشعب ، والدين الجديد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد

فإن فئة من الشعب المصري تريد أن تخوض لجج التجربة السابقة من الخروج على الحكام مرة أخرى ، معرضين عما أسفرت عنه التجربة السابقة من نتائج مخزية شهد لها القاصي والداني ، والمحب والمبغض ، وشهدوا أنها لم تكن كما أرادها البسطاء من الناس وظنوها ، دع عنك أهل الشر والفساد .

وليس مرادي هنا ذكر تحريم الخروج على الحكام ، وبيان أدلته ، فقد تكلمت عليه مرارا ، وصنفت فيه : (البيان الواضح) و (تعالوا إلى كلمة سواء) ، وإن فسح الله في العمر أعود ثالثة في الرد على كتاب (لكل ما نقول نقول)

إنما مرادي بالكلام هنا مسألة أخري وهي :

هل ما تريده هذه الفئة هو من الدين المنزل على النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ، أم هو دين جديد أراده الناس ؟

وهل هو بالغ بهم ما أرادوه ، أو هو مبعد لهم عنه ؟

والجواب : بحول الملك الوهاب :

أن الرزق وبسطته ، مطلب كثير من الناس ، وليس في هذا عيب على أحد ، ولا حرج على إنسان ، فإن الله سبحانه وتعالى زينه لعباده ، قال البخاري في صحيحه (8/93) : (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ

مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ ، وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا } [آل عمران: 14] قَالَ عُمَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ)

وكان من دعوة الرسل لأقوامهم ، وسبل ترغيبهم في دينهم ، بيان أن توبتهم من الشرك سبب في بسطة الرزق كما قال نوح عليه السلام لقومه { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } [نوح: 11، 12] .

وقال هود عليه السلام لقومه : { وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ } [هود: 52] وروى الترمذي في سننه وقال حسن صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبي طالب :

(إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ العَجَمُ الجِزْيَةَ)

فرغب قومه في الدخول في الإسلام ، ببيان أنه من أسباب الملك والرزق

وكذلك أمر أمته بأعمالٍ تكون سببا في بسطة الرزق ، كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)

وفي المسند (29/ 298) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللهُ وَيُغْنِمَكَ ، وَأَزْعبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً)

ودعا لبعض أصحابه بكثرة المال كما في الصحيح (8/ 81) عنْ أُمِّ سُلَيْمٍ ، أَنَّهَا قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَسٌ خَادِمُكَ ، ادْعُ اللَّهَ لَهُ ، قَالَ : (اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ ، وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَه) وبوب عليه البخاري (بَابُ الدُّعَاءِ بِكَثْرَةِ المَالِ مَعَ البَرَكَةِ)

وكان يقول في دعائه إذا نام (اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْر) خرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وكان يستعيذ من الفقر ، ويقرنه بالكفر كما عند أحمد من حديث أبي بكرة رضي الله عنه (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْر)

فهذه النصوص بينة الدلالة في رفع الحرج عمن طلب الرزق وسعي في تحصيله ، أو استعاذ من الفقر وسعي في دفعه ، إلا أنها مع ذلك بينة الدلالة أيضا في ذكر سبب تحصيله ومنعه

فإن قيل : فما سبب تحصيله ؟

فالجواب : طاعة الله ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فهما سبب السعادة والخير في الدنيا والآخرة ، وعدمهما سبب لكل شر في الدنيا ، وسوء منقلب في الآخرة

ومسألة الرزق من جملة ما يدخل في هذا ، وقد قال تعالى في محكم كتابه : { فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ } [العنكبوت : 17] فبين أن الرزق عنده ، وإذا كان عنده (فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِه) كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في مصنف ابن أبي شيبة (7/ 79)

ونفس النصوص السابقة فيها هذا المعنى ، فمن ذلك قول نوح عليه السلام لقومه : { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } صريح أن استغفارهم سبب للرزق ، والاستغفار رجوع من المعصية إلى الطاعة ، ومفهوم الآية أنكم إذا ظللتم على الكفر والمعاصي لا يحصل لكم شيء مما ذكرنا ، فمنطوق الآية ومفهومها يبين أن الطاعة سبب الرزق ، وأن عدمها سبب في عدمه وكذلك قول هود عليه السلام: { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا }

وأصرح من هذا قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} [المائدة: 66]

وقوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) } [الأعراف: 96، 97] وإذا كانت الطاعة سببا للزرق ، فإن المعصية سبب للحرمان ، وفي المعجم الكبير للطبراني (12/ 446) : عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (لَمْ يَمْنَعْ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا) ، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (إنّ للحسنة ضياءً في الوجه ، ونورًا في القلب ، وسعة في الرزق ، وقوةً في البدن ، ومحبةً في قلوب الخلق ، وإنّ للسيئة سوادًا في الوجه ، وظلمةً في القلب ، ووهنًا في البدن ، ونقصًا في

الرزق ، وبغِضةً في قلوب الخلق) عزاه له ابن تيمية وابن القيم ولم يذكرا مصدره ، لكن روى أحمد في الزهد عن مالك بن دينار قال :
(إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُقُوبَاتٍ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ ، وَضَنْكًا فِي الْمَعِيشَةِ ، وَسَخَطًا فِي الرِّزْقِ ، وَوَهْنًا فِي الْعِبَادَةِ)
فهذه النصوص ما بين آية محكمة وحديث مرفوع ، وموقوف ومقطوع ، يشهدان لهذا المعنى الذي لخصه أبو وائل شقيق بن سلمة فيما خرجه أبو نعيم في الحلية عَنِ الْأَعْمَشِ ، قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ : (يَا سُلَيْمَانُ ، نِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا ، لَوْ أَطَعْنَاهُ مَا عَصَانَا)
فإذا كان هذا هو الدين القويم الذي جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فما تريده هذه الفئة إذن هو طلب الرزق بما يمنعه ، يطلبونه بمعصية الله والمعصية سبب للحرمان لا للرزق
وذلك من جهتين
الأولى : يطلبونه بالثورات ، والانقلابات ، والخروج على السلاطين وهذه معصية من كبائر الذنوب كما بينها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتابه الكبائر
فإذا كان الخروج من أكبر المعاصي ، والمعاصي سبب لحرمان الرزق ونقصه ، فكيف يطلب أصحاب الثورات بسطة الرزق بما يكون سببا في نقصه ؟!
فهم بين نقص في العقل إن أقروا أن هذا هو الدين وخالفوه ، ونقص في الدين إن جهلوا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
الثانية : أنهم جعلوا العلاقة بين الحاكم والمحكوم أساسها المال إن أعطاهم ، أو زاد ما في أيديهم في عهده رضوا به ، وأقروا ولايته ، وإن

منعهم ، أو نقص ما مالهم في ولايته ، شقوا عصا الطاعة وعصوه ، وخرجوا عليه ، وهذا ليس من الدين الذي جاء به خاتم المرسلين ، بل هو ضده إذ قد بين نبينا صلى الله عليه وسلم أن من فعل هذا أو كان هذا أساس تعامله مع الحاكم أنه مرتكب لذنب عظيم كما في

الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه (ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ... وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا ، **فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ** ، **وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ**)

وقد أخرج الفريابي في صفة النفاق (105) عَنْ أَبِي مُلَيْكَةَ الذِّمَارِيِّ قَالَ : (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ عَلَى الْإِمَامِ فَمَا يَخْرُجُ إِلَّا مُشْرِكًا أَوْ مُنَافِقًا ، إِنْ أَعْطَاهُ نَسِيَ الَّذِي أَعْطَاهُ وَحَمِدَهُ ، **وَإِنْ مَنَعَهُ خَرَجَ يَذُمُّهُ وَيَعِيبُهُ** ، فَإِذَا فَعَلَ هَذَا بِالْإِمَامِ فَقَدْ نَافَقَ وَأَشْرَكَ وَإِنَّمَا يَمْنَعُ وَيُعْطِي اللهُ عز وجل)

فسبحان الله كيف يفعل الناس فعلا يستوجب ألا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ويتوعدهم بالعذاب الأليم أو يكونون به مشركين ثم هم يرجون به المال ، وبسطة الرزق ! وهل هذا إلا من الجهل العظيم بهذا الدين العظيم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل هذا هو الميزان بين الحاكم والمحكوم بل جعل الميزان هو الكفر والإسلام ، فمتى كان الحاكم مسلما من المسلمين ، فعقد ولايته قائم بين الناس ، والسمع والطاعة له واجبان في غير معصية الله سواء أعطى الناس المال أو منعهم إياه ، بُسطت الأرزاق في عهده أو نقصت ، وهذا في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه (بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ

وَالطَّاعَةِ ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا ، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)
فجعل موجب المنازعة هو الكفر الصريح الذي يقع فيه الحاكم ، كفرا بلا تأويل يجمع الناس على وقوعه فيه ، فهذا هو دين الإسلام ، لكن الناس تجعل الغني والفقر سبب المنازعة ، وهو خلاف النصوص ، بل من العجيب أن الناس تجعل جور الحاكم سببا في الخروج عليه ، على حين أن الحديث بين أن جور الحاكم سببه معاصي الرعية كما في سنن ابن ماجه (5/ 150) : (وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ)
ولهذا قال ربنا عز وجل : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [الرعد: 11] ولم يقل حتى يغيروا حاكمهم ، قال ربنا عز وجل : { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ " أي من نعمة " فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ " بلية أو أمر تكرهه " فَمِنْ نَفْسِكَ } أي بذنوبك ومعاصيك ، وقال تعالى { وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } ، وقال تعالى : { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ } ، وقال تعالى : { وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ } .
فقد بين ربنا عز وجل في هذه الآيات بلسان عربي مبين أن المصائب من القحط والفقر وغلاء الأسعار، وسائر المصائب إنما تصيب الناس بذنوبهم ومعاصيهم ، فلمَ يبحث الناس خارج نفوسهم ؟
أليس كل هذا من عواقب الخروج الأول ؟ ولعل أكثر أصحابه لم يتوبوا منه إلى الآن ، فلم يعص الناس ثم يستنكرون العقاب ؟!

وقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن سعيد بن عبد العزيز قال :
(من أحسن فليرجو الثواب ، ومن أساء فلا يستنكر الجزاء)

فهذا هو الدين العظيم الذي تعبدنا الله عز وجل به ، وقد قال تعالى:
{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين

وكتبه

أبو حاتم السيوطي محمد بن كمال